

ظاهرة عطف النسق في الجملة القرآنية (دراسة نحوية دلالية)

☆ شفاقت على الأزهرى

☆☆ على اكبر الازهرى

لاشك أن ظاهرة العطف لها دور كبير في تنظيم الجمل القرآنية بل هي اعظم وسيلة من وسائل الربط والتركيب في العبارات العربية عامة وفي التعبرات القرآنية خاصة. وقد يكون العطف بغير أداة فيسمى "عطف البيان" ويسميه الكوفيون "الترجمة"⁽¹⁾

ووضع الإمام السيوطي أهم اسباب تسمية "عطف البيان" ويذكر أنه للأول، فهو يدل على نفس الذات مع زيادة بيان فسي "عطف بيان". ويذكر سببا آخرًا للتسمية بأنه قيل إن أصله العطف، فجملة: جاء أخوك زيد، أصله: جاء أخوك وهو زيد فحذف حرف العطف والضمير.⁽²⁾ وأدوات العطف التي تستخدم للربط بين التراكيب هي: الواو، وأو، والفاء، وثم، وأم، ولكن، وبل بعضها تقتضي التشريك في المعنى والأخرى لا، وهي بل ولكن فقد يكون العطف بأداة فيسمى عطف النسق، وهو الذي نحن في صددنا هنا، وعطف النسق ربط لفظي يكون بين اسمين، أو بين فعلين، أو بين جملتين.

و(العطف) في هذا الباب مصطلح البصريين، و(النسق) مصطلح الكوفيين،

والأول المتبوع يسمى (المعطوف عليه) والثاني التابع يسمى (المعطوف)⁽³⁾

وذكر السيوطي مصطلحا آخر قال "ويسمى المعطوف بها عند البصريين (شركة)

وعند الكوفيين وهو المتداول (نسقا)⁽⁴⁾."

وأمّا تعريفه فهو "يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد"⁽⁵⁾

قال ابن يعيش أن "أحرف العطف، وهي عشرة: الواو، والفاء، وثم، وحتّى، وأو، و

أمّ، وإمّا مكسورة مكررة، وبل، ولكن، ولّا.⁽⁶⁾ نذكر الآن استخدامات هذه الحروف

وأثرها في الدلالات للجملة القرآنية فيما يلي:

☆ الأستاذ المساعد بجامعة المنهاج، لاهور

☆☆ الأستاذ، قسم الدراسات الإسلامية و العربية، جامعة كيريزن لاهور

العطف بـ "حتى"، أم، ولكنَّ

قد اختلف النحاة في ثلاثة أحرف "وهي: حَتَّى وَأَمْ وَلَكِنْ،" أمَّا (حَتَّى) فمذهب الكوفيين أنها ليست بحرف عطف وإنما يعربون ما بعدها بإضمار. وأمَّا (أم) فذكر النحاس فيها خلافاً وأن أبا عبيدة ذهب إلى أنها بمعنى الهمزة فإذا قلت أقاتم زيد أم عمرو فالمعنى "أعمرو قاتم" فتصير على مذهبه استفهامية. وأما (لكن) فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها لا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو وهو مذهب الفارسي وأكثر النحويين.

والثاني: أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو والواو مع ذلك زائدة وصححه ابن عصفور، قال وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيويه والأخفش لأهما قالاً إنما عاطفة ولما مثلاً للعطف بما مثلاه بالواو.

والثالث: أن العطف ما وأنت خير في الإتيان بالواو وهو مذهب ابن كيسان⁽⁷⁾

وذهب ابن در ستويه إلى أنها: الواو والفاء وثم⁽⁸⁾

كما ذكرنا سابقاً أن العطف بأداة يسمى عطف النسق، وعطف النسق ربط لفظي يكون بين اسمين، أو بين فعلين، أو بين جملتين. وأدوات العطف التي تستخدم للربط بين التراكيب هي: الواو، وأو، والفاء، وثم، وأم، ولكن، وبل. بعضها تقتضي التشريك في المعنى والأخرى لا، وهي بل ولكن. وهو الذي نحن في صدها هنا.

1 - العطف بالواو:

الواو هي أهم حروف العطف في العربية، وأكثرها دوراً في التراكيب العربية، ويقول برجشتراسر هي: "الحرف الأصلي للعطف"⁽⁹⁾

وهي "لمطلق الجمع، وإنما لا تقتضي ترتيباً ولا عكسه"⁽¹⁰⁾ نحو قوله تعالى:

"وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"⁽¹¹⁾

فيقول ابن يعيش: "ولا تعلم أحدا يوثق بعربيته يذهب إلى أن الواو تفيد

الترتيب"⁽¹²⁾

ويقول الأشموني: "والصحيح أنها لمطلق الجمع ولا تفيد الترتيب"⁽¹³⁾

كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ"⁽¹⁴⁾

وقوله تعالى: "وَأَذِزْفَعُ إِبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"⁽¹⁵⁾

نجد في هذه الآية أَنَّ المعطوف (إسماعيل) والمعطوف عليه إبراهيم قد اشتركا في الفعل في وقت واحد و أفادت الواو فيها الجمع لهما في رفع الجدران لبیت الله الحرام. والواو تقتضي الترتيب عند الشافعي ومالك⁽¹⁶⁾ من الفقهاء، والصحيح أن الواو لاتقتضي الترتيب وهذا مذهب النحويين، ويرى أحد الباحثين أنها تحتاج أكثر من سواها إلى نظر ثاقب روعي عميق بطبيعة السياق الذي تستخدم فيه، و التعليق بالعطف لا يتصور إلا إذا كانت هناك اتصال فعلي بين الطرفين فإذا تباين الطرفان لم يكن لإيراد الواو بينهما مبرر.⁽¹⁷⁾

سنذكر الآن معنى الواو عند النحويين الكبار وتطبيقها على الجمل القرآنية بالاختصار.

والواو "تفيد مطلق الجمع، والمراد من الإشراك المطلق والجمع المطلق أنها لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام."⁽¹⁸⁾

ويرى المبرد أن "معناها: إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فيها دليل على أيهما كان أولاً، نحو قولك: جاءني زيد وعمرو، ومررت بالكوفة والبصرة، فجاز أن تكون البقرة أولاً."⁽¹⁹⁾

وكذلك في قوله تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ"⁽²⁰⁾

هنا نجد أن ضمير (أنت) هو الفصل بين الضمير المستكن وجوبا (المعطوف عليه) والمعطوف. وضمير (وأنت) "توكيد للضمير المستكن في اسكن، وهذا أحد المواضع التي يسكن فيها الضمير وجوبا، وزوجك: معطوف على ذلك الضمير المستكن، وحسن العطف عليه تأكيده بأنت، ولا يجوز عند البصريين العطف عليه دون تأكيد أو فصل يقوم مقام التأكيد، أو فصل بلا بين حرف العطف والمعطوف، وما سوى ذلك ضرورة وشاد وقد روي: قم وزيد، وأجاز الكوفيون العطف على ذلك الضمير من غير توكيد ولا فصل."⁽²¹⁾

وقد تضافرت نصوص النحويين والمعربين على ما ذكرناه من أن وزوجك معطوف على الضمير المستكن في اسكن، ويكون إذ ذاك من عطف المفردات، وزعم بعض الناس أنه لا يجوز إلا أن يكون من عطف الجمل والتقدير: ولتسكن زوجك، وحذف: ولتسكن، لدلالة اسكن عليه، وأتي بنظائر من هذا الباب نحو: (لا نخلقه نحن ولا أنت).⁽²²⁾

ونحو: تقوم أنت وزيد، ونحو: ادخلوا أولكم وأخركم، وقوله:

تطوف ما تطوف ثم يأوي ذوو الأموال منا والعلم

إذا أعربناه بدلا لا توكيدا، هو على إضمار فعل، فتقديره عنده، ولا تخلفه أنت، ويقوم زيد، وليدخل أولكم وأخركم، ويأوي ذوو الأموال.⁽²³⁾

وزعم أنه استخرج ذلك من نص كلام سيبويه، وليس كما زعم بل نص سيبويه على مسألة العطف في كتابه، كما ذهب إليه النحويون. قال سيبويه رحمه الله: (في باب ما يحسن أن يشرك المظهر المضممر فيما عمل وما يقبح أن يشرك المظهر المضممر فيما عمل فيه).
"أما ما يحسن أن يشركه المظهر فهو المضممر المنصوب، وذلك قولك: رأيتك وزيدا، وإنك وزيدا منطلقان. وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فهو المضممر في الفعل المرفوع وذلك قولك: فعلت وعبد الله، وأفعل وعبد الله."⁽²⁴⁾

ثم بين أنه: "زعم الخليل أن هذا إنما قبح من قبل أن هذا الإضمار يبني عليه الفعل قاستقبحوا أن يشرك المظهر مضمرا يغير الفعل عن حاله إذا يعد منه."⁽²⁵⁾ ثم قال "فإن نعته حسن أن يشركه المظهر، وذلك قولك: ذهبت أنت وزيد، وقال الله عز وجل: "فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ"⁽²⁶⁾ و: "اسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ."⁽²⁷⁾ وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام حيث طوله وأكدته كما قال: قد علمت أن لا تقول ذاك، فإن أخرجت لأقبح الرفع."⁽²⁸⁾

"فهذا نص من سيبويه على أنه من عطف المظهر على المضممر، وقد أجمع النحويون على جواز: تقوم عائشة وزيدا، ولا يمكن لزيد أن يباشر العامل، ولا نعلم خلافا أن هذا من عطف المفردات."⁽²⁹⁾

نستنتج فيما سبق في ضوء أقوال النحويين واللغويين والفقهاء أن الواو تغير لمطلق الجمع بين شيئين ولا تغير الترتيب وكذلك هي تعد الحرف الأصلي في ظاهرة العطف في الجملة القرآنية

2- العطف بالفاء:

تأتي الفاء للربط بين وحدتين مستاويتين من وحدات البناء التركيبي في العربية، فعطف كلمة على أو عبارة أو تركيب على تركيب.⁽³⁰⁾ وهي للترتيب بلا مهلة ويسمى التعقيب.⁽³¹⁾ تشترك بين المتعاطفين في المعنى فهي موضوعة للتعقيب وقد تكون للتسبيب والترتيب، وهما راجعان لمعنى التعقيب.⁽³²⁾

مثال ذلك: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"⁽³³⁾

وكذلك في قوله تعالى: "فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا"⁽³⁴⁾

وأنكر الفراء الترتيب في الفاء في العطف محتجا بقول الله تعالى: وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا. ⁽³⁵⁾

"يقال: إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك، فكيف تقدّم الهلاك؟ قلت: لأنّ الهلاك والبأس يقعان معاً؛ كما تقول: أعطيتني فأحسننت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله: إنّما وقعا معاً." ⁽³⁶⁾

ويرى الفراء هنا أن الإهلاك والبأس وقعا معاً، فيصح مجيء الفاء للربط بينهما، ويفهم أن الفاء ليست للترتيب عنده.

3- العطف ب (ثم):

"الأصل فيها أنها تفيد الترتيب، وهي مثل الفاء إلا أنها أشد تراخيا." ⁽³⁷⁾
ولا تكون إلا عاطفة وقد تجيء في الجمل خاصة ⁽³⁸⁾ وقد تكون بمعنى "واو" العطف
فتفيد مطلق الجمع والاشتراك من غير دلالة على التركيب ⁽³⁹⁾ فتعطف كلمة على كلمة أو
عبارة على عبارة أو التركيب على التركيب ⁽⁴⁰⁾

وقد تفيد (ثم) التراخي في الزمان: كما قول تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ." ⁽⁴¹⁾
وقد وردت (ثم) في الآية المذكورة على حقيقتها من التراخي في الزمان، وقد عطف
الفعل الماضي عرضهم على الفعل الماضي (علم).

وقوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ." ⁽⁴²⁾
كقوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" ⁽⁴³⁾

"وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه
بُدٌّ ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله." ⁽⁴⁴⁾ جاء هذا التعبير ب (ثم) لأنه بين
إماتته لهم سبحانه، وإحيائهم مدة لا يعلمها إلا الله.

وقد ترد "ثم" لافادة التراخي المعنوي في القرآن الكريم ومنها: قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" ⁽⁴⁵⁾

ومعنى "الاستواء: الاعتدال والاستقامة . يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصد مستويا، من غير أن يلوي على شيء. ومنه استعير قوله: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)، أي قصد إليها بإرادته ومشينته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلو، كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق. والضمير في (فَسَوَّاهُنَّ) ضمير مهمم".⁽⁴⁶⁾ هنا المعطوف الفعل الماضي (استوى) والمعطوف عليه الفعل الماضي (خلق) أيضا، ثم بينهما للتراخي المعنوي.

يقول الألوسي: " و(ثم) قيل للتراخي في الوقت، وقيل لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على الأرض".⁽⁴⁷⁾

ثم قال: "ولما كان خلق السماء أبداع في القدرة من خلق الأرض أستونف الإخبار فيه) ثم (فهي لترتيب الأخبار".⁽⁴⁸⁾ وينبغي أن ننبه إلى أن (ثم) في هذه الآية للترتيب المعنوي لا الحسي، والله أعلم. كذلك قد ترد (ثم) لإفاده التراخي المعنوي والزمان في العبارات والتركيب والجمل القرآنية مثاله فيما يلي:

وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ"⁽⁴⁹⁾

قال الزمخشري: وقوله: (فَأُمَتِّعُهُ) جوابا للشرط، أي ومن كفر فأنا أمتعه . وقرئ: (فأمتعه فأضطره) فألزه إلى عذاب النار لَزَّ المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه، وقرأ أي: (فمنعه قليلا ثم نضطره) وقرأ يحيى بن وثاب: (فإضطره)، يكسر الهمزة وقرأ ابن عباس: (فأمتعه قليلا ثم اضطره)، على لفظ الأمر.⁽⁵⁰⁾ هنا للتراخي في الزمان أو تكون للتراخي المعنوي .

4- العطف بـ (أو):

وتستعمل (أو) في اللغة العربية للربط بين وحدتين متساويتين من وحدات البناء التركيبي في العربية، فتعطف كلمة على كلمة أو تركيب على تركيب.⁽⁵¹⁾ تستعمل " أو" الالاعاطفه في الجملة القرآنية للتخيير للإباحة، للإلهام، للتفصيل، أو للتقسيم هي "حرف يكون في أغلب استعمالاته عاطفا فيعطف المفردات والجمل"⁽⁵²⁾

وهي عند المبرد "لأحد أمرين عند شك المتكلم أو قصد أحدهما وقد يكون لها موضع آخر معناه الإباحة"⁽⁵³⁾

يقول ابن هشام: "فإنها بعد الطلب للتخيير، نحو: (تزوج زينب أو أختها). أو للإباحة، نحو: جالس العلماء أو الزهاد."

والفرق بينهما امتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير، وجوزّه في الإباحة. وبعد الخبر للشكّ، نحو: "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"⁽⁵⁴⁾

أو للإبهام نحو: (لَيْثِنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)⁽⁵⁵⁾ وللتفصيل، نحو: قوله تعالى: "وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"⁽⁵⁶⁾

"أو للتقسيم، نحو: (الكلمة اسم أو فعل أو حرف) وللإضراب عند الكوفيين."⁽⁵⁷⁾ سنذكر الآن معاني "أو" المختلفة مع بيان الأمثلة من الجملة القرآنية فيما يلي:

أ- (أو) للتفصيل:

تستعمل "أو" للتفصيل في الجملة القرآنية و أمثلته في القرآن كريم كثيرة، ومنها قوله تعالى: "صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ"⁽⁵⁸⁾

ذكر أبو حيان أن أو، لها خمسة معان: الشكّ، والإبهام، والتخيير، والإباحة، والتفصيل. وقال أن الكوفيين زاد فيها بأن تكون بمعنى الواو وبمعنى بل، ولكن الشيخ أبو الحسن بن الصائغ يقول (أو) لأحد الشينين أو الأشياء.

يقول السهيلي: " (أو) للدلالة على أحد الشينين من غير تعيين، ولذلك وقعت في الخبر المشكوك فيه من حيث أنّ الشكّ تردّد بين أمرين من غير ترجيح"⁽⁵⁹⁾

ورد أبو حيان على الذين زعموا أنما للإباحة بقوله "لم تؤخذ الإباحة من لفظ أو ولا من معناها"⁽⁶⁰⁾

يقول القرطبي: قال الطّبري: "أو" بمعنى الواو، وقال الفراء ... وقيل: "أو" للتخيير أي مثلوهم بهذا أو بهذا، لا على الاقتصار على أحد الأمرين، والمعنى أو كأصحاب صيب والصيب: المطر ... والتقدير في العربية: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا أَوْ كَمَثَلِ صَيْبٍ"⁽⁶¹⁾

قال السمين الحلبي صاحب الدرّ المصون: " (أو) كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ) في "أو" خمسة أقوال، أظهرها: أنها للتفصيل بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء منهم من يشبههم يحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته."⁽⁶²⁾

وكذلك في قوله تعالى: " وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ." (63)

ذكر أبوحيان سبب نزول " وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى " هو اختصاص نصارى نجران ويهود المدينة، وتناظرهم بين يدي الرسول ﷺ. فقالت اليهود: "لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ"، وقالت النصارى: "لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ"، وكفروا بالتوراة وموسى، قاله ابن عباس. (64)

وبين سبب مجيء العطف هنا بأن القول، " لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ "، صدر من الجميع، " باعتبار أن كل فريق منهما قال ذلك، لا أن كل فرد فرد قال ذلك حاكما على أن حصر دخول الجنة على كل فرد فرد من اليهود والنصارى (65) ولذلك جاء في هذه الآية أو للتفصيل والتنوع.

" وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مَلَّةٌ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (66) و أو في قوله تعالى: " هُودًا أَوْ نَصَارَى " للتفضيل، أي قالت اليهود: هم يهود، وقالت النصارى: هم نصارى (67)

ب - (أو) بمعنى الواو:

قال تعالى: "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (68) قال القرطبي: في " فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً " أن أو بمعنى الواو كما في قوله تعالى: "أَيْمًا أَوْ كَفُورًا" (69) وقيل: هي بمعنى بل، كقوله تعالى: " وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِ فِ أَوْ يَزِيدُونَ" (70) المعنى بل يزيدون. (71)

قال أبو حيان: " أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً "، أو بمعنى الواو، أو بمعنى أو للامام، أو للإباحة، أو للشك، أو للتخيير، أو للتنوع، أقوال: وذكر المفسرون مثلا لهذه المعاني، والأحسن القول الأخير. (72)

ج- أو للإباحة:

قوله تعالى: "إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (73)

د- أو للتنويع:

قال تعالى: "أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"⁽⁷⁴⁾

أو في "مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ" للتنويع، كما قال أبو حيان أن "معنى (أو) هنا، وعدل عن اسم الفاعل وهو: أو مسافر إلى، أو على سفر، إشعار بالاستيلاء و السفر لما فيه من الاختيار للمسافر، بخلاف المرض، فإنه يأخذ الإنسان من غير اختيار، فهو قهري، بخلاف السفر.⁽⁷⁵⁾

هـ- أو للتخيير:

قوله تعالى: "فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ"⁽⁷⁶⁾ نجد في هذه الآية (أو) للتخيير، فالفادي مخير في أي الثلاثة شاء .
وقوله تعالى: "وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"⁽⁷⁷⁾ كذلك هنا جاء حرف عطف (أو) للتخيير بين الإمساك بالمعروف والتسريح بالمعروف.

5- العطف بـ (أم):

تأتي (أم) للربط بين وحدتين متساويتين من وحدات البناء التركيبي في العربية، فتعطف كلمة على كلمة أو عبارة على عبارة أو تركيب على تركيب.⁽⁷⁸⁾
لها ضربان: المتصلة، والمنقطعة

أ- المتصلة:

هي المسبوقة بممزة التسوية أوهمزة يطلب بها وبأم التعيين⁽⁷⁹⁾

ب- المنقطعة:

هي الخالية من ذلك.⁽⁸⁰⁾ وقد جاءت أم المتصلة بين فعلين رابطة بينهما، وسبقت الأول منهما همزة التسوية،

ومنه قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"⁽⁸¹⁾

أم المنقطعة لا تدخل على المفرد⁽⁸²⁾ بل هي تعطف الجمل، وتصبح الجملتان مركبتين مرتبطتين بالعطف، وأنكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى، وقال "ليست بحرف عطف"⁽⁸³⁾ قال الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة "مواقع (أم) المنقطعة في القرآن أكثر من مواقع (أم) المتصلة."⁽⁸⁴⁾ ومنه قوله تعالى:

"وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"⁽⁸⁵⁾ وردت (أم) في (أم) كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت): منقطعة، و تتضمن معنى بل وهمزة الاستفهام الدالة على الإنكار، والتقدير: بل أكنتم شهداء؟

ذكر أبو حيان معنى الإضراب: الانتقال من شيء إلى شيء، ومعنى الاستفهام هنا: التقرير والتوبيخ، وهو في معنى النفي، أي ما كنتم شهداء، فكيف تنسبون إليه ما لا تعلمون؟ ولا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم.⁽⁸⁶⁾

ولخص أبو حيان أن أم هنا فيها ثلاثة أقوال: " (المشهور) أنما هنا منقطعة بمعنى وهمزة. (الثاني): أنا للإضراب فقط، بمعنى بل. (الثالث): بمعنى همزة الاستفهام فقط."⁽⁸⁷⁾

ويقول الزمخشري: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ" هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار. وقد أشار الزمخشري الوجه أن تكون أم متصلة، على أن يقدر قبلها محذوف، كأنه قيل: تدعون على الأنبياء اليهودية؟ (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) ؟ يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له، إذ أراد بنية على التوحيد وملة الإسلام، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء؟"⁽⁸⁸⁾

وتعقبه أبو حيان بقوله "أنه جعل أم متصلة، وأنه حذف قبلها ما يعادلها، ولا نعيم أحداً أجاز حذف هذه الجملة، ولا يحفظ ذلك، لا في شعر ولا غيره، فلا يجوز: أم زيد؟ وأنت تريد: أقام عمرو أم زيد؟ ولا أم قام خالد؟ وأنت تريد: أخرج زيد؟ أم قام خالد؟ و السبب في أنه لا يجوز الحذف.⁽⁸⁹⁾ ومنه قوله تعالى:

"قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى"⁽⁹⁰⁾

يقول السمرقندي أن " (أَمْ تَقُولُونَ) قرأ الكسائي وعاصم وحمزة في رواية حفص (أم تقولون) بالتاء على معنى المخاطبة وقرأ الباقون: بالياء (أم يقولون) على معنى المغايبة. " (91)
قال الزمخشري: (أم تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في (أَتَحَاجُّونَنَا) بمعنى أي الأمرين تأتون:المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا، وأن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون، والهمزة للإنكار أيضا. " (92)

فذكر أبو حيان أن في قراءة التاء، فيحتمل أم فيه وجهين.
أحدهما: أن تكون فيه أم متصلة، فالاستفهام عن وقوع أحدهذين الأمرين: المحاجة في الله، والادعاء على إبراهيم ومن ذكر معه، أنهم كانوا يهود و نصارى.
الوجه الثاني: أن تكون أم فيه منقطعة، فتقدر ببل والهمزة، التقدير: بل أتقولون. (93)
وأما قراءة الياء، فالظاهر أن أم فيها منقطعة، وقال بعض النحاة: أنها ليست منقطعة، لأنك إذا قلت: أتقوم أم يقوم عمرو؟ فالمعنى: أياكون هذا أم هذا؟
وقال ابن عطية: هذا المثال يعني: أتقوم أم يقوم عمرو؟ غير جيد، لأن القائل فيه واحد، والمخاطب واحد، والقول في الآية من اثنين، والمخاطب اثنان غير أن، وإنما يتجه معادلة أم للألف على الحكم المعنوي، كان معنى قل أتحاجوننا، أياحجون يا محمد، أم يقولون؟ (94)

وقال الزمخشري: وفيمن قرأ بالياء، لا تكون إلا منقطعة. (95)
"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (96)
قال ابن عطية: "أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ" لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام لأن فيه التسوية التي في الاستفهام، ألا ترى أنك إذا قلت مخبراً سواء على أقيمت أم قعدت أم ذهبت؟ وإذا قلت مستفهماً أخرج زيد ام قام؟ فقد استوى الأمران عندك، هذان في الخبر، وهذان في الاستفهام، وعدم علم أحدهما بعينه، فلما عممتها التسوية جرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإيهام، وكل استفهام تسوية، وإن لم يكن كل تسوية استفهماً. (97)
"قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (98)

وقد توسط هنا المسؤول عنه، وهو أحسن من تقدمه وتأخره، إذ يجوز في العربية أن يقول: أعلم أنتم أم الله؟ ويجوز: أنتم أم الله أعلم؟ ولا مشاركة بينهم وبين الله في العلم حتى يسأل: أهم أزيد علماً أم الله؟ ولكن ذلك على سبيل التهكم بهم والاستهزاء.⁽⁹⁹⁾

نتيجة البحث

نستخلص مما سبق في البحث أن استخدام حروف العطف شائع في القرآن الكريم وله أثر بالغ في دلالاته و يسمى ذلك التركيب بـ عطف النسق الذي يؤدي دوراً كبيراً في أداء المعاني والدلالات وربط الكلمات بعضها مع بعض في الجمل القرآنية لأغراض ما، ومعنى ذلك أن هذه الظاهرة لا بد من استعمالها في الجمل القرآنية لنقل و أداء بعض الدلالات المعنية بالمقصود للمتكلم.

وايضاً ثبت من البحث السابق أن حروف العطف تستعمل للدلالات كثيرة وهي عشرة: "الواو، والفاء، وثم، و حتى، وأو، وأم، وإمّا مكسورة مكررة، وبل، ولكن، ولّا". ومنها الواو التي تفيد في بعض التعبيرات القرآنية مطلق الجمع والاشتراك في الأحكام المختلفة، ومنها الفاء التي تفيد الترتيب، ومنها ما تؤدي معنى التعقيب أو الترتيب أو التخيير أو غير ذلك من الدلالات حسب السياق وغرض المتكلم.

الهوامش والمصادر

1. انظر: السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، القاهرة، مطبعة السعادة، 1317هـ، ج:2، ص:121
2. انظر: السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج:2، ص:121
3. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، بيروت، دارالكتب العلمية، 2001م، ج:8، ص:88
4. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، ج:2، ص:128
5. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مع تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، بدون سنة، ج:3، ص:314
6. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ج:8، ص:89
7. الأشموني، نور الدين أبو الحسن على بن محمد، لألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون سنة، ج:3، ص:90
8. انظر: ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ج:8، ص:89

9. براجشتر اسر، التطور النحوي، مطبعة السماح، 1979م، ص: 119
10. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد مجي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع، بدون سنة، ص: 451
11. البقرة، 58:02
12. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ج: 8، ص: 91
13. الاشموني، نور الدين أبو الحسن على بن محمد، لألفية ابن مالك، ج: 3، ص: 91
14. البقرة، 21:02
15. البقرة، 128:02
16. الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، التمهيد في تخریج الفروع على الأصول، موسوعة الرسالة، 1401هـ، ص: 208
17. حسن طبل، الدكتور، المعنى في البلاغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998م، ص: 44-42
18. عباس حسن، أستاذ، النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة التاسعة، 1987م، ج: 3، ص: 557
19. المررد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عزيمة، بيروت، عالم الكتب، بدون سنة، ج: 1، ص: 128
20. البقرة، 30:02
21. أبوحیان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، السعودية، مكتبة الإيمان، 1992م، ج: 1، ص: 157
22. طه: 58:20
23. أبوحیان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج: 1، ص: 158-157
24. سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، مترجم: عبد السلام هارون، دارالجيل، 1411هـ، ج: 2، ص: 377-378
25. ايضاً، ج: 2، ص: 378
26. المائدة، 24:05
27. الاعراف، 19:07
28. سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، الكتاب، ج: 2، ص: 377-378
29. أبوحیان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج: 1، ص: 158
30. عبد العزيز، محمد حسن، الدكتور، الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، دارالفكر، بدون سنة، ص: 160

31. انظر: الرضي، محمد بن حسن، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1417هـ، ج:3، ص:93 و شرح المفصل، ج:8، ص:95
32. السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، الدكتور، تيونس، منشورات جامعة القاهرة، 1978م، ص:50
33. المائدة، 30:05
34. الكهف، 74:18
35. الأعراف، 04:07
36. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: النجاتي، أحمد يوسف، و محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون سنة، ج:1، ص:381
37. المراد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عزيمة، ج:1، ص:148
38. الرضي، محمد حسن الرضي، شرح شافية بن الحاجب، تحقيق: محمد مي الدين، محمد نور الحسن، مطبعة حجازي بالقاهرة، بدون سنة، ج:4، ص:389
39. عباس حسن، أستاذ، النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة التاسعة، 1987م، ج:3، ص:577
40. عبد العزيز، محمد حسن، الدكتور، الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، بدون سنة، ص:167
41. البقرة، 31:02
42. البقرة، 243:02
43. يس، 82:36
44. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، بيروت، مكتبة الهلال، 1993هـ، ج:1، ص:377-378
45. البقرة، 29:02
46. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، 1993هـ، ج:1، ص:270-271
47. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 1417هـ، ج:1، ص:344
48. ايضاً، ج:1، ص:344
49. البقرة، 126:02
50. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، 1993هـ، ج:1، ص:310
51. عبد العزيز، محمد حسن، الدكتور، الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، بدون سنة، ص:181
52. عباس حسن، أستاذ، النحو الوافي، 1987م، ج:3، ص:602

53. المراد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عضيمة، بدون سنة، ج:1، ص:148-149
54. الكهف، 19:18
55. سبأ، 28:34
56. البقرة، 135:02
57. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بدون سنة، ج:2، ص:322-321
58. البقرة، 19-18:02
59. انظر: أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، السعودية، مكتبة الإيمان، ج:1، ص:68
60. ايضاً، ج:1، ص:68
61. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عماد زكي البارودي، وخير سعيد، القاهرة، المكتبة الوقفية، بدون سنة، ج:1، ص:218-217
62. السمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد، الدر المضمون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: علي محمد معوض، لبنان، دار الكتب العلمية، 1414هـ، ج:1، ص:168
63. البقرة، 111:02
64. البقرة، 135:02
65. انظر: أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:1، ص:391
66. ايضاً، ج:1، ص:391
67. انظر: أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:1، ص:466
68. البقرة، 84:02
69. الإنسان، 24:76
70. الصافات، 147:37
71. انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج:1، ص:236
72. أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:1، ص:286
73. البقرة، 157:02
74. البقرة، 182:02
75. أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج:2، ص:38
76. البقرة، 196:02
77. البقرة، 231:02

78. عبد العزيز، محمد حسن ، الدكتور، الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة. ص:178
79. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب، ص:452
80. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك، ص:318
81. البقرة، 06:02
82. ابن هشام، أوضح المسالك، ص:319
83. انظر: السيوطي، همع الهوامع، ص:132
84. عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات الأسلوب القرآن الكريم، القاهرة، دار الحديث طبع نشر والتوزيع، بدون سنة، ج، 1، ص:358
85. البقرة، 132-133:02
86. انظر: أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:450
87. ايضاً، ج:1، ص:450
88. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، ج:1، ص:331
89. أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:250-251
90. البقرة، 139-140:02
91. سمرقندي، أبي الليث نصر بن محمد بن احمد، تفسير بحر العلوم، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد المعرض، الشيخ عادل أحمد، د زكريا عبدالمجيد النوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى، 1413هـ، ج:1، ص:163
92. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، ج:1، ص:339
93. انظر : أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:659
94. انظر : أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:467
95. الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، ج:1، ص:336
96. البقرة، 06:02
97. أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:33
98. البقرة، 140:02
99. أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي، الأندلسي، تفسيرالبحر المحيط، ج:1، ص:466